

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا
خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا

عباد الرحمن

(012) سورة يوسف

الدرس الأول: تفسير الآيات 63-76

2022-01-17

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم عَلِّمْنَا ما يَنْفَعُنَا، وَاَنْفَعْنَا بما عَلَّمْتَنَا وزِدْنَا عِلْمًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

الفرق بين عباد وعبيد:

هل تُحِبُّ أن تكون من عباد الرحمن؟ هل تطمئن أن تكون لك الجنة في العُرْقَة أعالي الجنان؟ هل ترعّب أن تُلقَى في الجنة النَّجِيَّة والسلام من ملائكة الله الْمُقَرَّبِينَ؟ في سورة الفرقان يتحدث ربنا عن عباد الرحمن، و يصفهم بمواصفات، أشياء ينبغي أن يفعلوها وأشياء أخرى ينبغي أن يتركوها. ويُرتّب على ذلك ثواباً عظيماً منه جلّ جلاله.



على كل إنسان أن يعمل جُزْداً مع نفسه

في هذا اللقاء الطيّب إن شاء الله سنستعرض هذه الصفات بشكل سريع، ليس المقصود من اللقاء تفسير الآيات، فرّما يأخذ تفسيرها وقتاً طويلاً، لكن المقصود أن تقيس أنفسنا على ما فيها، على كل إنسان أن يعمل جُزْداً مع نفسه، هل تنطبق على صفات عباد الرحمن تلك أم أنني مُقَصِّرٌ ببعضها؟ هل هناك أشياء ينبغي أن أتجنّبها لم أتجنّبها؟ وليحاول كل منّا أن يأتي الذي ينقصه لأنها والله مرتبة عظيمة جداً عند الله أن تكون عبداً له.

كلُّ الناس عباد، فإنما أن يكون الإنسان عبداً لله فهو في عزٍّ ما بعده عز، وإما أن يكون عبداً لعبدٍ من عباد الله فهو في ذلٍّ ما بعده ذلّ، ولا تُصَدِّقُوا إِنَّ أَحداً ليس عبداً، كل الناس يعبدون، لكن المؤمن يعبد خالق السماوات والأرض وغيره قد يعبد شهوته، وقد يعبد شهرته، وقد يعبد منصبه، وقد يعبد مديره، وقد يعبد وزيره، فكلُّ الناس يعبدون.



العبادة هي الطاعة

أي يُطيعون طاعةً دون بصيرة لغير الله، مع الله الطاعة على بصيرة. يُسمونها طاعة عمياء، أي كما يقال له يفعل، مثل الطاعة في صفوف الجيش والقوات المسلحة، الكلمة تُتقدّ قبل أن تنتهي يكون قد تقدّمها، هذه هي العبادة، فالعبادة هي الطاعة، فكلّ الناس يعبدون، لكن المؤمن أحسن الاختيار، فعبد الله، فما يرضي الله يفعله وما يَعْصِبُ الله يتركه، هذا حُسن اختيار، لكن ليس هناك إنسان حُر بالمعنى المُطلق للكلمة، هذا تحدّثنا عنه سابقاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63)

[سورة الفرقان]

عندنا عباد وعندنا عبيد، غالباً عبيد هو جمع لعبد القهر، وعباد جمع لعبد الشُّكر، عباد الرحمن عباد شُكر وليسوا عباد قهر، ما معنى ذلك؟ لو أن مُلجداً قال: لا أؤمن بوجود الله أبداً، مُلجد لكنه مُتَقَرِّر، مُتَقَرِّر إلى كل شيءٍ من الله، إذا أوقف ربنا الرزق عنه لا يستطيع أن يأكل و يشرب فيموت، إذا أوقف ربنا له كليته عن العمل مشكلة، إذا أوقف له الكيد سيموت، إذا ضاق فطرُ شربانه التاجي أي ميليمتر وربع خلطة يصاب بسَلَل كامل، إذا هو عبد، إذا قال: لست عبداً ولا أومن، أنت عبد، لأنك مُحْتَاج، فهو عبد قهر، مَقهور شاء أم أبى. لكن نحن لسنا عبيد قهر فقط نحن عباد شُكر، أي نُحسن التوجّه إلى الله، ذاك الأول مقهور بالعبادة، نحن نتوجّه بإرادتنا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54)

[سورة المائدة]

فلَمَّا قال عباد هؤلاء عباد الشُّكر، عباد الرحمن تستبهم إلى ذاته العليّة، وحتى يُبين لك عباد شُكر لم يقل لك: وعباد القهّار، ولم يقل لك: عباد الجبّار، ولا عباد المُنتقم، ولا المُتَكَبِّر، عباد الرحمن، لأن العلاقة به علاقة حُب، وليست علاقة قهر، (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ).

صفات عباد الرحمن:

1 - يمشون هوناً:

(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) أول صفاتهم أنهم يمشون على الأرض هوناً، هوناً بسكينة ووقار من غير تكبُّر ولا استعلاء، بسكينة ووقار من غير تكبُّر ولا استعلاء ولا تطامن وتدلّل، لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في صفاته في الصحيح:

{ كان إذا مشى كأنما ينحدر من صَبَبٍ }

[رواه الترمذي]

أي من عُلو، يَفُوءَ وَعِزَّةَ الْمُؤْمِنِ، سيدنا عمر لَمَّا رأى أحدهم يمشي مُتَطامِنًا علاه بالدرّة على رأسه وقال: يا هذا لا تُمِتْ علينا ديتنا، ارفع رأسك. فهوناً لا تعني أبداً أن يَدِلَّ الإنسان في مَشِيَّتِهِ أو أن تهون، لا، هوناً أي بسكينٍ ووقار من غير تَكَبُّرٍ ولا استعلاء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تُلْجَأَ الْجِبَالَ طُولًا (37)

[سورة الإسراء]

بتواضع لعباد الله، لكن يمشي بعِزَّة و فُوءة مع تواضعٍ لعباد الله وعليه السَّكينة والوقار.

هذه أول صفة، يستغرب الإنسان أول صفة (بِمُشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ)، لأن السُّمْت الحسن دلالة على السلوك الحسن، أول ما تنظر إلى مؤمن تجده متواضعاً في مشيته هذا يدفك لأن تتحدث معه، لأن تنظر في سلوكه، فأول ما يتبادر إلى ذهنك مشيته، حركته، (بِمُشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ).

2 - الحلم:

قال: (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) الصفة الثانية. الجهل هنا ليس ضد العلم وإنما ضد الحلم.



الجهل ضد الحلم

ما سُمِّيَت الجاهلية لأنها لم يكن فيها علم، كان عندهم علم في اللغة وحتى علم بعض العلوم، لم يكونوا جُهالاً بمعنى صفر معلومات، لا، كان عندهم سَقَاهة وعدم جلم، فالجهل ضد الجلم هنا وليس ضد العلم، فإذا كان هناك شخص يحمل دكتوراه في أعلى اختصاص وشخص آخر بالسيارة من ورائه أطلق بوق السيارة مرتين أو ثلاث ثم قعد أعصابه، ونزل لعنده، وضرب على السيارة، وصرخ عليه، وقام بشتمه، وشتم والعياذ بالله أباه، وأمه، وكذا، هذا جاهل، هذه الجهالة، ولو معه دكتوراه، هذه جهالة، فالجهالة ألا تحلم على الناس.

أما الحلیم فصد الجاهل لذلك قال عمرو بن كلثوم بمعلّيته:

لا، نحن المسلمين نقول:

كلما ازدادوا جهلاً ازدادنا جلماً.

زيد بن السَّعْتة، كما ورد في أحاديث صحَّح إسنادها كثير من أهل العلم، زيد بن السَّعْتة كان يهودياً، وجاء إلى النبي صلى عليه وسلم واستلقت جنطةً ويُسْمُوته: عقد السلم في الشريعة بمعنى أنا أعطيك إلتمن الآن وأستلم السَّلعة فيما بعد، والشَّرع شرع هذا النوع من القفود للرفق بالناس، أي المُزارع يريد مالاً، ولكن السَّلعة لا تنصح الآن تحتاج إلى وقت، فأخذ المبلغ يعمل به، ويُسَلِّمك السَّلعة فيما بعد، هذا اسمه عقد السَّلْم، فهذا صنع ذلك:

فلما جان موعد الاستلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وعلا صوته في مجلسه، يا آل محمد ما علمتكم إلا مُطَللاً في الأداء - ثماطلون في الأداء - فقام إليه سيدنا عمر يتكلم مع رسول الله - وسيدنا عمر كان عملاق الإسلام - فقال له: دَعُ يا عمر، كان حرياً بك أن تأمره يحسن المُطالِبَة و أن تأمُرني يحسن الأداء - تأمره يحسن الطلب وتأمرني بحسن الأداء، تأمر رسول الله بحسن الأداء - قال: حُذِه وأعطيه وزده جزء ما رُوِّعْتُهُ - أخفته للرجل - فزاده قال: ما حَمَلَك على ما صنعت، قال:

{ يَا عُمَرُ كُلُّ عِلْمَاتِ النَّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبِنَ تَطَرُّثٍ إِلَيْهِ إِلَّا أَنْتَ لَمْ أَحْتَبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ جِلْمُهُ جَهْلَهُ

وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةَ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا جِلْمًا فَقَدْ احْتَبِرْتُهُمَا فَأَشْهَدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا }

[أخرجه ابن حبان]

ما الذي دعاه إلى الإسلام؟ لا تزيده شِدَّةَ الْجَهَالَةِ عَلَيْهِ إِلَّا جِلْمًا.

(وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) هو بجهل ونحن نجلم، لا تُعَرِّض نفسك لئرد على إنسان جاهل سفيه فتصغر أمامه، لكن عندما تُقَابِلَه بالجلم إن كان غضبه آتياً تصغر أمامك ويعتذر، وإن كان جاهلاً ينصرف وهو يرمجر وليكن ما أراد ولا أصغر نفسي مثله.

(وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) قال العلماء هذه يمكن أن تكون سلاماً بمعنى التحية، ويمكن سلاماً بمعنى سَأَسَلَمَ من أي شيء يَشِينِنِي عند الناس وعند الله، أي لن أقول شيئاً لا يُسَلِّمُنِي، سلاماً، أريد السَّلَام بيني وبينك لا أريد الحرب.

أما إذا كان الجهل الذي صدر عنه فيه مُنْكَرٌ، هذا يذهب إلى قضية إزالة المُنْكَر وفق الشروط الشرعية المُعْتَبَرَة، هذا بحث آخر، كما قلنا في السبارة حَدَثَ شيء، كذا من أمور الدنيا، الأمور الشرعية تذهب باتجاه آخر:

{ من رأى منكم منكراً فليغيره بيده - فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان - }

[صحيح مسلم]

وفق الشروط الشرعية، وأحد أهم الشروط الشرعية في إزالة المُنْكَر ألا يؤدي إلى مُنْكَرٍ أشد منه، أن يُزِيلَهُ بِمُنْكَرٍ أشد منه، حتى هنا ينبغي أن يكون ضمن الصّوَاطِط وليس قُوْرَة غضب.

3 - السجود والقيام:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64)

[سورة الفرقان]

لأنّ علاقتهم مع الله. يبيتون: بات الرجل أي رجع إلى بيته ليلاً سواء بات أو لم يبت بعد، القبيت هنا ليس النوم لكن بات إلى البيت رجع.



التنوع في السجود والقيام

(يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) إما أن حالهم في السجود أو في القيام لله تعالى، ولعلّ التنوع هنا سُجَّدًا وَقِيَامًا أي قد يكون عند الإنسان ما يمنعه من السجود أو هو مُتَعَب فيقوم، عند السجود يفعل هكذا وهناك إنسان يسجد ويُطِيل السجود، لكن بالقيام يجلس، يقول لك: أنا مُتَعَب أو مريض، فَتَوَقَّع حتى يُبَيِّن أن هذا الأمر مُخْتَصَّص بالصلاة إلى الله بعض النظر عن الحالة التي تقوم فيها، لأن الثقل يمكن للإنسان أن يؤديه جالساً ولو استطاع القيام، الثقل يجوز للإنسان أن يؤديه جالساً ولو استطاع القيام وله نصف الأجر إذا كان قادراً على القيام، أما إذا كان غير قادر على القيام وجلس فله الأجر كاملاً.

(وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) من أجمل ما قرأته في تفسير الآية. ابن عباس رضي الله عنهما قال:

أدنى شيء بعد العشاء الآخرة ركعتان، لم يقم في الليل ولم يقل لا أستطيع أن أستيقظ، بعد العشاء صلى الشُّنَّة ركعتين لله، قال: فقد بات لله ساجداً قائماً، وقال بعض أهل العلم إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ }

[صحيح مسلم]

فرحة الله واسعة فلو أدّى العشاء والفجر في جماعة انطَبَقَ عليه: (وَالَّذِينَ يَبِينُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا).

4 - يخافون ربهم ويدرعونهم ليدخلوا الجنة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65)

[سورة الفرقان]



الغرام هو المُلازَمة

الغرام نقوله على العشق والهيام والمحبة الزائدة، مُغْرَمٌ به. الغرام هو المُلازَمة، فلَمَّا كان المُغْرَمُ بشخص يُلازمُه أو يُلازمُ ذَكَرَه إذا كان بعيداً عنه سَمِّيَ الغرام غَرَامًا، الغرام هو المُلازَمة، ولَمَّا كان الغريم يُلازمُه ذَبَّه فُسَمِيَ غَرِيمًا، يقول لك: لا يذهب عن بالي الذَّيْنُ فهو غريم، من هنا غَرِمَ.

(إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) أي مُلازِمًا، العذاب يُلازم الإنسان في نار جهنم، فهؤلاء بين أنهم يبينون لربهم سُجَّدًا وَقِيَامًا وأنهم رَعِمَ ذلك يخافون ربهم، أي لا يأمنون عذاب الله، وهذا ليس من أجل أن تكون في حالة خوف دائمة، الأصل أنك في حالة حُب دائمة مع الله، لكن الخوف طارئ، لأن الإنسان إذا لم يخف قد يعصي، الحُب وحده لا يكفي أحياناً الكرام، صدَّقوا أنه لا يكفي، أي تربيتك مع أبنائك الحُب 90% ولا أباغ، 90% تريد حُباً، ولكن يوجد خوف 10%، هناك أشياء الطفل لا يتركها إذا لم يكن خائفاً، فقط حُب لا يفعلها، شهوته تُعلِّمه، وبعلافتك مع الله هناك شيء آخر، شيء تقول: نفسي تُنازِعُني ولكني خائف من الله، وهناك مئة شيء تقول: اجبُّ الله، لكن هناك شيئاً أخاف منه. فلذلك: (يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) مُلازِمًا للإنسان لِمَنْ اسْتَحَقَّ طبعاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66)

[سورة الفرقان]

(إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا) لِمَنْ قَرَّبَهَا، (وَمُقَامًا) لمن أقام بها.

(مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) مُسْتَقَرٌّ: المكان الذي يقَرُّ به الإنسان، والمُقَام: الذي يُقيم به، ولعلَّ الإقامة أكثر من الاستقرار، الاستقرار قد يكون أنبأ، أنا مُسْتَقَرٌّ بهذا البلد سنة ومن ثم سأغادر، المُقام دائم، وهناك في النار من يَسْتَجِجُ النار إلى أبد الأبد من لم يكن في قلبه وثقال دَرَّةٍ من إيمان، أو هناك من يَسْتَقِرُّ بها شيئاً ثم يخرج منها، لكن في الحاليتين: (إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا).

5 - ابتعادهم عن الإسراف والتفتير:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ إِذَا أَنْعَمُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67)



الإسراف مُجاوزة الحد

الآن انتقل إلى العلاقة مع الآخرين، العلاقة مع الله انتهت، الآن إذا أنفقوا للآخرين، العطاء، **(لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا)** الإسراف مُجاوزة الحد، والإقتار مُجاوزة الحد بالطرف الآخر إلى البخل، فلا إسراف في إنفاقهم ولا تقثير، فهم وسط: **(وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)** أي مُعتدلاً وسَطًا، تقوم به الحياة، لأن الحياة لا تقوم بإسراف ولا تقوم ببخل، لأن الإسراف قد يصل إلى التَّبذير وهو الإنفاق في الحرام والعباد بالله، وقد لا يصل إلى التَّبذير لكن الإسراف الشديد في الدنيا بمعنى أن يحتاج الإنسان طعاماً بكمية معينة فيأتي بعشرة أضعاف، يقول لك: نأكل منهم غداً، حسناً غداً أكلت وثالث يوم لم يعد بالإمكان أكلهم، أي الكمية كثيرة باتت، صارت في القمامة، هذا إسراف، أنه جاوز الحد، ولم يقتروا لا على أهلهم ولا حتى في التَّقفة الواجبة والمُستَحَبَّة، في التَّقفة الواجبة النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا جاءه الرجل بماله يقول له دائماً: ماذا أبقيت لعيالك؟

{ عن عمر بن الخطابٍ أمرنا رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نتصدَّقَ فوافقَ ذلكَ عندي ما لآ فقلتُ اليومَ أسبقُ أبا بكرٍ إن سبقتهُ يوماً، قال: فَجئتُ بنصفِ مالي، فقال رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أبقيتَ لأهلكَ؟ قلتُ: مثلهُ، وأتى أبو بكرٍ بكلِّ ما عندهُ فقال: يا أبا بكرٍ ما أبقيتَ لأهلكَ؟ فقال: أبقيتُ لهمُ اللَّهُ ورسولَهُ، قلتُ: لا أسبقُهُ إلى شيءٍ أبداً }

[رواه الترمذي و أبو داود]

قل لي: ماذا أبقيت لأهلك؟ لا تُسرف حتى في الإنفاق، قال:

{ كُلُوا واشتريوا وتصدقوا والتبسوا ما لم يخالطه إسرافٌ أو مخيلةٌ }

[أخرجه ابن ماجه]



يجب أن يُقِفَ الإنسان شيئاً لنفسه

ولا مخيلة أي كبير، قد تكون هناك ملئة بأحوال بالمسلمين ليس هناك إسراف مهما أنفقت، لكن المقصود أن يُقِفَ الإنسان شيئاً لنفسه، فالإسراف لا ينبغي في البيت ولا مع الأهل، طبعاً قد تقول لي: الإسراف مُتباين بين الناس، طبعاً، الذي دخله خمسة آلاف وأنفق ثلاثة آلاف وتصدَّق بالف، هذا لا يُسَمَّى مُسرفاً مثلاً عند قُرْبائه، أما الذي دخله خمسمئة ونُفق ستمئة وستين، صار مُسرفاً مع أنه أنفق أقل. طبعاً الحالة الاجتماعية لها مكانها، يوجد أغنياء ويوجد فقراء، الله ابتلى الفقير بالغني والغني بالفقير، لكن عموماً كان سيدنا عمر يقول: (أو كلما اشتبهت اشتريت).

يوجد رجل تركي عَمَّر مسجداً أسماه: (كأنِّي أكلت)، باللغة التركية، كان كلما أراد أن يشتري شيئاً يقول: غير ضروري ويُبقَى بالحصالة قيمة ما أراد أن يشتري أو مما لا يحتاجه، فيُقبِله فتراكم معه مبلغ، عَمَّر مسجداً صغيراً سَمَّاه: (كأنِّي أكلت)، لأنه كان يقول: كاني أكلت وبضع هذه المدخّرات في الحصالة، كأنني أكلت.

مرّة دخلت امرأة السوق قالت: يا الله ما أكثر الأشياء التي لا نحتاجها؟! لأن المجتمع الاستهلاكي يعرض لك كل شيء، فأنت تشتري الأشياء التي لا تحتاجها كثيراً، وأحياناً تشتري الأشياء لأنها عرض مع أنك لا تحتاجها ولكنها بقرض فتقول: دعنا نشترها، حسناً بقرض أو بغير عرض إذا كانت بتخفيضات 25% أو بغير ذلك هذه الحاجة كلها لا أحتاجها، هذا المجتمع الاستهلاكي، تقع في هذا القُطب كلنا، فالإنسان يحاول قدر الإمكان ألا يُسرف، أمّا أن يُنْفِق على عياله فهذا أعظم دينار تُنْفِقه على عيالك كما قال صلى الله عليه وسلم، والإنسان إنَّه أن يقتر على عياله، لأن الله يُوسِّع عليه ثم يُقتر على عياله، هذه لا وهذه لا، الإنفاق على العيال من أعظم المُرتبات عند الله، لم يُسرفوا ولم يُقترُوا، لا يُخل ولا تجاوز للحدِّ، وكان بين ذلك أي بين الإسراف والتقتير قواماً.

بالمناسبة معظم القضايل التي يُشترعها الإسلام وتكون وفق الشَّرْع هي وسطٌ بين فضيلتين، قالوا:

فالشجاعة هي وسط بين الجُبْن والتَّهور، الشُّجاع ليس مُتهوراً ولكنّه ليس جَباناً، والكرم وسط بين البُخل والإسراف وهكذا، فالفضيلة غالباً وسطٌ بين رذيلتين فلها طَرَفان حدَّان غير مقبولين ولها وسط قوامٌ يريدُه الله، (وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال:

{ إنما يُعْتَنُّ لِأَتَمِّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ }

[رواه أحمد والبخاري]

ما قال: لأنَّه مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، كان يُشَدِّبُهَا، صلى الله عليه وسلم، لديك شجاعة؟ الشجاعة بأرض المعركة في سبيل الله، وليست تهوراً من أجل ناقة، داجس وإلغبراء، تُقيم حرباً سنوات مع أهل وطنك، لا، رَشِدْهَا، هَدِّبْهَا، لديك كرم حاتم، الكرم يُجِبُّهُ الله، لديك مصادر الإنفاق هنا وهنا، فكان يُنَمِّمُ المَكَارِمِ، ولَمَّا جاء إلى أُمَّة العرب جاء إلى أُمَّة عندها مَكَارِمِ، أخلاق عظيمة، والذين دائماً يُجِبُّون أن يُدْمُوا العرب أنا لا أجهم، العرب أصحاب مَكَارِمِ، أصحاب أخلاق، نعم كان عندهم مَتَالِبٌ لكن هل نظرنا إلى مَتَالِبِ الفُرس والروم؟ كان عنتره يقول:

العربي كان شَهْمًا، صاحب مُروءة، صاحب نخوة، كريم يترك أولاده ويذبح للضيف، عنده أخلاق لكن كانت تحتاج إلى ترشيد، شهامة ومروءة وكرم لكن لا يوجد منهج، دون منهج الأخلاق تتصمَّم بشكل غير صحيح، فجاء الإسلام ليؤطِّرها وفق الطرق الصحيحة، وفق الضوابط. (وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا).

6 - الابتعاد عن الشرك وقتل النفس والرُّنَى:

الآن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68)

[سورة الفرقان]



الشُّرْكُ الخَفِيُّ: أن يُعْبَدَ شيئاً لا يقول لك إني أعبده

هذه الأشياء الثلاث مع بعضها، (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ): لأن الشُّرْكُ فيه هلاك الأديان، (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) لأن الرُّنَى فيه هلاك الأعراض، فمن ترك هذه الثلاث تَرَى دينه، وتَرَى بَدَنه، وتَرَى عِرْضه، لأنه لم يعتد على الآخرين. فهي ثلاثة أشياء: لا يدعون مع الله إلهاً آخر، بهذا التُّكْبِير حتى تشمَل الشُّرْكُ الجَلِي والشُّرْكُ الخَفِيُّ، فالشُّرْكُ الجَلِي أن يُعْبَدَ صَنَمًا أو حَجَرًا كما كان يفعل العرب في الجاهلية، والشُّرْكُ الخَفِيُّ أن يُعْبَدَ شيئاً لا يقول لك إني أعبده، ولكن يُطِيعه ولو كان ذلك فيما يُغْضِبُ الله، له يُشْرِكُ والشُّرْكُ قال له: نريد أن نأتي بصفقة فيها خمور، وقال لك: لا أستطيع أن أخالقه، هذا شريكِي، لا تستطيع أن تُخالقه ولكن تستطيع أن تُغْضِبُ الله! هذا: (يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) ليس الشُّرْكُ الأكبر المُخْرِج من المِلَّة، لا، ما قُلْنَا ذلك، هذا مسلم، لكن هذا يُشْرِكُ خَفِي:

{ أخفى من ذيب التملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء - وقال العلماء - وأدناه أن نُحبَّ على شيءٍ من الجور، أو نُبغِضَ على شيءٍ من العدل }

[عائشة رضي الله عنها]

شخص نُحبُّه رغم أنه جائر لأنه يأتيك منه منافع، وهو ظالم يظلم الآخرين لكن نُحبُّه، كما نرى البعض الذين يتَمَسَّكون ويتعلَّقون بالسلطين والملوك على جورهم، بعض العبيد عن الله نسال الله السلامة. وأن نُبغِضَ على عدل، اي هو عادل معك لكن تصح لك نصيحة لله فأبغضته:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمُهَادُ (206)

[سورة البقرة]

فهذا كله من الشُّرك الخفي، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول:

{ اليسير من الرياء شركٌ، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إنَّ الله يحبُّ الأبرار الأتقياء الأخفاء، الذين إن غابوا لم يُفقدوا، وإن حضروا لم يُعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كلِّ غيراءٍ مُظلمةٍ }

[رواه ابن ماجه والبيهقي]

{ إنَّ أخوف ما أخافُ عليكم الشُّركُ الأصغرُ، قالوا: وما الشُّركُ الأصغرُ يا رسولَ الله؟ قال: الرِّياءُ؛ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لهم

يومَ القيامةِ إذا جُزيَ الناسُ بأعمالِهِم: اذهبوا إلى الذين كنتم تُراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً؟! }

[رواه أحمد]



الرِّياء من الشُّرك الخفي

أي إن يراني الإنسان بأعماله للآخرين، لا ينظر إلى الله، ينظر إلى ما يرى من تظر رجل إليه، فإذا كان في حَضرة الناس صلَّى فأحسنَ صلته، و إذا كان في بيته تَقَرَّها كتفر الدِّيكَة أو تزكها، فيصَلِّي في حَضرة الناس ويتركها بعيداً عن الناس فهذا يُراقب الناس ولا يُراقب خالق الناس، فالرِّياء من الشُّرك الخفي.

(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَعْتَلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) النَّفْسُ مُصَاتة فِي الإسلام، وَقَتْلُهَا بِالْحَقِّ بِإِحدى ثَلَاثِ: النَّفْسُ الرَّانِي، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ، وَالتَّافِسُ بِالنَّفْسِ، الْفِضَاصُ.

{ لَا يَجِلُّ دَمٌ امْرئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحدى ثَلَاثٍ ، الرَّانِي ، وَالتَّافِسُ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ }

[صحيح البخاري ومسلم]

وهذه الثلاثة يُعْبَهُها الْحَاكِمُ وَليْسَ الْأَفْرَادُ، هَذَا هُوَ الْحَقُّ، إِلَّا بِالْحَقِّ.

(وَلَا تَرْبُؤُونَ) الْبُؤْدُ عَنِ الرَّانِي الَّذِي فِيهِ هَلَاكُ الْأَعْرَاضِ، وَكُلُّ مَا مِنْ مُقَدِّمَاتِ الرَّانِي يَنْبَغِي لِعِبَادِ الرَّحْمَنِ أَنْ يَبْتَعِدُوا عَنْهُ، أَنْ يُتْرَهُوا أَنْفُسَهُمْ عَنْهُ، فَالْخَلْوَةُ بِالْأَجْنِيَةِ مُحَرَّمَةٌ، وَالتَّظَرُّ بِالشَّهْوَةِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّمَاتٍ، لِذَلِكَ اللَّهُ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32)

[سورة الإسراء]

مَا قَالَ: وَلَا تَرْبُؤُوا، قَالَ: وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ، لِأَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ تُقَرَّبُ مِنَ الزُّنَىٰ، تُدْفَعُ الْإِنْسَانُ، الْمَجَالِيسُ الْمُخْتَلِطَةُ الْمَاجِنَةُ بِغَيْرِ ضَوَابِطٍ إِلَى آخِرِهِ مِمَّا يُغَضِبُ اللَّهَ، فَيُؤَدِّي بِالْإِنْسَانِ إِلَى الزُّنَىٰ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

{ الْعَيْنُ تَزْنِي، وَالْقَلْبُ يَزْنِي، فَرِزْنَا الْعَيْنَ النَّظْرُ، وَرِزْنَا الْقَلْبَ التَّمَنِّي، وَالْفَرْحُ يُصَدِّقُ مَا هُنَالِكَ أَوْ يُكَدِّبُهُ }

[مسلم]

إِذَا أَنْ يُتَابِعَ فِيمَا بَعْدَ فِيقَعِ فِي الزُّنَى الشَّرْعِي الَّذِي يَسْتَوْجِبُ عُقُوبَةَ اللَّهِ الْكَبِيرَةَ وَالْحَدَّ، أَوْ أَنْ يُكَدِّبَهُ الْفَرْحَ، لَكِنْ يَبْقَى لَهُ هَذِهِ الصَّغَائِرُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتُوبَ مِنْهَا.

الابتعاد عن الكبائر لأن عقوبتها شديدة عند الله عز وجل:

(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَتَمًا) مَنْ يَفْعَلُ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ يَلْقَى أَتَمًا أَيَّ عِقُوبَةً شَدِيدَةً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِكُلِّ سَيِّئَةٍ عِقَابٌ، قَالَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُصَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَاتًا (69)

[سورة الفرقان]

فِيهِ لَا تُقَدُّ فِي الْأَصْلِ فِي التَّجْوِيدِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْهَاءَ قَبْلَهَا سَاكِنٌ، فَلَيْسَتْ هَاءَ صَلَّةٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (3)

تُمد لأن قبل الهاء مُتَحَرِّكٌ وبعدها مُتَحَرِّكٌ، لكن فيه ومنه لا تُمد، لأن ما قبلها ساكن، فالأصل في غير هذه الآية أن يقال: **(فِيهِ مُهَاتًا)** بغير مد لكن هنا على خلاف القاعدة، جاء اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم يخُذ فيه مُهَاتًا للدلالة على التأكيد على خُلُوده فيها، أي لِيَلْفِتَ نظرك أن هناك شيئاً يستدعي الانتباه. **(فِيهِ مُهَاتًا)** ثم قال مُهَاتًا لأنه الهوان شديد على النفس، خصوصاً عند التُّفوس الكرام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
دُوِّنَ أَتَكَ الْأَعْرَبُ الْكَرِيمِ (49)



الهوان شديد على النفس

الهوان صعب على الإنسان، في القرآن هناك عذاب أليم، وعذاب عظيم، وعذاب مُهين. الأليم: بالنسبة لِمَا يُحْدِثُهُ من ألم على الأجساد، أثره العظيم: لأنه من العظيم، نسبةً إلى كمية العذاب إن صَحَّ التعبير، عظيم. والمُهين: نسبةً إلى أثره النفسي والمعنوي وليس المادي، هناك شخص مُسْتَعِيد ليسمع مئة كلمة سيئة ولا أحد يضربه يُؤْلِمُهُ، وهناك أشخاص يقول لك: تكلم معي كلمة صديقاً لو ضرتني بالعصا عشر ضربات ما عادت هذه الكلمة التي قالها لي، أي بالنسبة له الإهانة بالكلام. فالعذاب هنا قال: **(يَخْلُدُ فِيهِ مُهَاتًا)** لأنه كان مُتَكَبِّراً في الأرض فناسَبَهُ العذاب المُهين الذي يُهينُ كرامته، نسأل الله السلامة.

عذاب الله للإنسان عذاب طارئ ليعود إلى جادة الصواب:

ربنا عز وجل لا يَتَكَلَّمُ على العذاب إلا ويفتح باب الرحمة فوراً، أبداً، لا يوجد في القرآن حديث عن العذاب إلا ويفتح باب رحمته لك فوراً، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70)

عندما تسمع: **(يَخْلُدُ فِيهِ)** لا يوجد باب، فهو أُعْلِقُ، قال: **(إِلَّا مَنْ تَابَ)** الموضوع ليس كذلك، لأن ربنا يُرِيدُنَا إلى رحمته، هو لا يُرِيدُ عذابنا، العذاب طارئ من أجل أن نعود إلى الجادة، فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70)

[سورة الفرقان]

(تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) تاب: رَجَعَ إلى الله وأقْبَعَ عن الذَّنْبِ وَتَرَمَّ على ما كان منه واستغفر، شروط التوبة النَّصُوح، وآمن: أي كانت تَوْبُهُ مَبِينَةً على خوفه من الله وإيمانه بوجود الله، وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا: لِيُكَفِّرَ عن السيئات التي كانت منه، هذه إضافة للتوبة، التَّوْبَةُ النَّصُوحُ اسْتِغْفَرُ، تَرَمَّ، أَقْبَعَ، عَقَدَ الْعَزْمَ على عدم العودة إلى الذَّنْبِ، صَحَّتْ التوبة إن شاء الله.

من مرتكراتها ومؤكِّداتها لِبُيُتِّتَ عليها عمل صالح بعدها، صدقة، عمل صالح هذا يؤكِّد التوبة.

فهنا قال: **(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا)** العمل الصالح ضوابط يُوافق الكتاب والسُّنَّةَ ويجب أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى.

من تاب وآمن بدل الله سيئاته حسنات:

(فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) كيف ذلك؟ مثلاً كان عنده 100 سيئة صار عنده 100 حسنة؟

المعنى الأول يُبَدِّلُ سيئاتهم حسنات: كان يكذب صار صادقاً، أي ذهبت السيئة صارت حسنة، كان يتكلم بالغيبة صار يكفُّ لسانه عن الغيبة، بَدَّلَ الله سيئاته حسنات.



الاستغفار والإبادة والتوبة حسنة عند الله

المعنى الثاني: هو كان لديه سيئة استغفر وتاب وأناب، هذا الاستغفار والإبادة والتوبة حسنة عند الله، فكَتِبَتْ له حسنة، إنسان كان يأخذ رشوة، تاب، وإذا كان يعرف أصحاب الحقوق يعيد لهم حقوقهم قَرَصًا وبعد ذلك قال: يا رب سامحني، يا رب اغفر لي، هذا العمل الذي يقوم به حسنة، فُبَدِّلَتْ سيئاته حسنات.

استقامته هي الحسنة، يُبَدِّلُ سيئاتهم حسنات.

(وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) يغفر الذنوب ويَسْتُرُها ويرحِّمُ صاحبها، المغفرة هي تَخْلِيَةٌ والرحمة هي تَحْلِيَةٌ، كيف ذلك تخلية وتخلية؟ كأس كريستال من أفخم نوع لكنه مُلِئَتْ من داخله بمياه آسنة، هل يقبل إنسان أن أضَّ له عصير إله ورد فيه وأقَدَّمه له؟ لا، أنظفه قبل كل شيء، فالتنظيف هو التَّخْلِيَةُ، وماء الورد بداخله هو التَّحْلِيَةُ، فغفوراً هي التَّحْلِيَةُ، أزال الذنوب، والرحمة تخلية من الله، يُزِيلُ الذنوب وبعد ذلك يعطيك الرحمة والسكينة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَأِنَّهُ يُتَوَّبُ إِلَى اللَّهِ مُتَابًا (71)

هناك تَابَ في الدنيا، الآن لَمَّا تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا، فإنه يتوب إلى الله مُتَابًا يوم القيامة، يرجع إلى الله رجوعاً حسناً، يستقيله الله يوم القيامة خالياً من الذنوب:

{ التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ }

[ابن ماجه والطبراني]

(فَأِنَّهُ يُتَوَّبُ إِلَى اللَّهِ مُتَابًا) يتوب إلى الله أي يرجع إلى الله مُتَابًا حسناً، المُتَابُ هو الرَّجُوعُ، ما معنى تَابَ؟ رَجَعَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)

[سورة البقرة]

أي رجوعاً، كيف البيت مَثَابَةٌ؟ تقوم بالحج وتتعب وترجع بعد أسبوع صوتك غائب ومتعب ثم تقول: أسأل الله أن يرزقنا الحج مرات ومرات، لم تكن في سويسرا!
لأن الله عَلَّقَ بهذا البيت، فجعله مَثَابَةً لك، تريد أن تعود رغم أنه لا يوجد شيء مادي يُرْجِعُكَ إلا أنك فرحت بالصلة بالله، (مَثَابَةٌ لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا) فالتوبة و التوبة هي الرجوع إلى الله والأوْتة. تاب وثاب وأب.

7 - لا يشهدون الزور ويتعدون عن اللغو:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72)

[سورة الفرقان]



كل ما فيه ميلٌ عن الحق فهو زور
لا يشهدون الزُّورَ، لا يقولونه ولا يحضرون مجالسته. والزُّور: الزورار هو القيل، ائزورَّ مَالَ، فكل ما فيه ميلٌ عن الحق فهو زور، غيبة، تميمة، وأَعْلَاهُ والعياذ بالله شهادة الزُّور، أن يشهد الإنسان زوراً بأنه رأى فلاناً يفعل وهو لم يره، أو أعلم أن فلاناً سرق وهو لا يعلم، والنبي صلى الله عليه وسلم:

{ أَلَا أُتْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ فُلْنَا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، يَقُولُ رَاوِي الْحَدِيثِ وَكَانَ مُتَكَبِّرًا
فَجَلَسَ - عَدَّلَ جَلِسَتْه - ففَال: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، حَتَّى قَالَ الصَّحَابَةُ أَشْفَقْنَا عَلَيْهِ
فَمَا رَالَ يَفْعُولُهَا، حَتَّى فُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ }

[صحيح البخاري]

خوفاً عليه، من كثرة احمرار وجهه وهو يقول أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، يُبَيِّنُهُ، وهو أثناء حديثه عن الشُّرْكِ كَانَ مُتَكَبِّرًا وهو من أعظم الكبائر والعياذ بالله، لكن لَمَّا صَارَ يَمَسُّاسَ لِحَقُوقِ
النَّاسِ جَلَسَ فَانْتَبَهُوا جَمِيعُهُمْ، فَالنَّبِيُّ جَلَسَ، ثُمَّ أَصْبَحَ يَقُولُ: (أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ حَتَّى فُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ) خوفاً عليه،
أَشْفَقُوا عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ) اللغو الكلام الذي لا طائل وراءه، حديث بالعورات، حديث غيبة، تميمة.

(مَرُّوا كِرَامًا) أي يُكْرَهُونَ أَنفُسَهُمْ أَن يَجْلِسُوا فِيهَا، وَقَوْلُهُ: (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ) بمعنى أنهم لم يقصدوها، وإنما مروا بها مروراً، أي لا يذهب المؤمن إلى مجلس يعلم أن فيه لغواً.

(وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) حديث نُكْتة صالحة، إدخال السرور على قلوب الناس، فرح، ضحك، تَبَسُّم، لا يوجد مانع، ليس في الإسلام كَهْتُوت، لكن ألا يكون فيه مَسَاس بالناس أو باعراض الناس، أو هذا المجلس لو كان مُباحاً لا يُذَكَّر فيه اسم الله أو لا تُقام فيه الصلاة إن حان وقتها، فتذهب الصلاة على الناس، أو إلخ...

8 - يسمعون آيات الله ويخشعون لها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاتًا (73)

[سورة الفرقان]

خَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ أَي سَقَطَ بغير انتظام، السَّقْفُ لا يسقط هكذا بالترتيب، فالخَرُّ هو السقوط بغير انتظام، فلَمَّا ذَكَرَ الصَّالِحِينَ قَالَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَرِيدُهُمْ حُسْرًا □ (109)

[سورة الإسراء]



خَرُّوا سُجَّدًا مِنْ عِظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى

من عَظَمَةِ اللَّهِ شَبَّهَ فَعَلَهُ لَمَّا يَنْزِلُ لِلسُّجُودِ كَأَنَّهُ لَمْ يَعُدَّ يَعْجِي مَاذَا يَفْعَلُ، فَخَرَّ خَرًّا، لِأَنَّهُ أَمَامَ عَظِيمَةِ اللَّهِ، وَأَمَامَ حُبِّ اللَّهِ، خَرَّ خَرًّا، فَلِذَلِكَ هُمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا هُنَا بِالْعَكْسِ، (صُمًّا وَعُمْيَاتًا) أَي لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يُبْصِرُونَ، وَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ إِذَا ذَكَرَ بِآيَاتِ اللَّهِ سِوَاءِ آيَاتِهِ بِالْكَوْنِ بِمَا خَلَقَ، أَوْ آيَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ بِمَا تَكَلَّمَ، أَوْ آيَاتِهِ فِي الْكَوْنِ بِمَا فَعَلَ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْ أَعْمَالِ بِإِهْلَاكِ الظَّالِمِينَ، أَوْ بِنَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا فِي الْقُرْآنِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6)

[سورة الفجر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1)

[سورة الفيل]

إلى آخره.

(لَمْ يَجْرُوا عَلَيْهَا ضَمًّا وَعُقَمَاتًا) لا يتجاوزون الآيات وإنما يَجْرُونَ عليها، يَسْمَعُهَا ويُبْصِرُ آيات الله في الكون.

9 - يدعون الله أن يهبهم ذرية صالحة وأن يكونوا قدوة للآخرين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74)

[سورة الفرقان]

تُفَرُّ العَيْنُ أي تَسْكُنُ، ولا تُفَرُّ العَيْنُ إلا بالولد الصالح، (هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ) فلا تُفَرُّ عَيْنَ الإنسان إلا أن يرى ولده صالحاً يَخَافُ الله، مُصَلِّياً، فَتَقَرُّ عَيْنُهُ وتَسْكُنُ.



سخونة العين تعبير عن الحزن

والقَرُّ هو البَرْد، والعَيْنُ عندما تَقَرُّ تكون باردة، قال لي بعض الأطباء: إن حرارة العين لا تتجاوز تسع درجات، بينما حرارة الكبد ترتفع أكثر من ذلك بكثير، فالعين في الأصل فيها بُرود، لكن عندما تَسْكُنُ يُعَبَّرُ فيها الشعراء عن الحزن، العين الساخنة، فالقَرُّ يكون بالسُّكُونِ و البَرْد، تَبْرُدُ العَيْنُ عندما ترى أمامها من دُرِّيَّتها من يدعو لها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74)

[سورة الفرقان]

(وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) أي يقتدي بهم الناس، أنت لا تقبل أن تكون فقط مُقتدياً، كن أنت قدوة للآخرين، اقتدِ بالصالحين وكن قدوة للآخرين، **(وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)** أي يا رب اجعل المُتَّقِي إِذَا رَأَى أَنَا يَا مُتَّقِي، أَي هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الدَّرَجَاتِ، يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَاللَّهُ التَّاجِرُ الْفُلَانِي لَا يَأْكُلُ قَرِشًا حَرَامًا، إِنَّمَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ يُعْطِيكَ حَقَّكَ لِالْآخِرِ، فَأَنَا قُدُوتِي بِالْحَيَاةِ بِالتَّجَارَةِ بِالتَّاجِرِ الْفُلَانِي، وَاللَّهُ هَذَا الطَّيِّبُ قُدُوةٌ لِي بِالمَعَامَلَةِ الْحَسَنَةِ، وَاللَّهُ إِذَا رَأَى فَقِيرًا يُعَالِجُهُ مَجَانًا، جَلَسْتُ مَعَهُ نِصْفَ سَاعَةٍ يُجَاوِزُكَ وَلَا يَصْجُرُ مِنْكَ وَلَا يَقِلُّ، أَنَا قُدُوتِي فُلَانٍ، فَيُصِيحُ إِمَامًا لِلْمُتَّقِينَ. **(وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)**.

الجنة ثمن من صبر في الدنيا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أُولَئِكَ يُجْرُونَ الْعُرْقَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا تَجِيَّةً وَسَلَامًا (75)

[سورة الفرقان]

الباء هنا سبب، أي بسبب صبرهم **(يُجْرُونَ الْعُرْقَةَ)** والعُرْقَةُ هي مكان في أعلى الجنان، وهنا جاءت مُفردة، والغرفة فيها عُرفات، في آيات أخرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا قَالُوا لَيْسَ لَنَا فِيهَا حِصَّةٌ وَمَا كُنَّا فِيهَا بِمُعْتَدِلِينَ (37)

[سورة سبأ]

فهي عُرفات، لكن المرتبة اسمها العُرْقَةُ، وفي العُرْقَةُ عُرفات لكل إنسان، فالعُرْقَةُ في أعالي الجنة، فلما كانت أخلاقهم بهذا الغلو والشُّمو كان جزاؤهم بهذا الغلو والشُّمو.



الدِّينُ هُوَ الصَّبْرُ

(يُجْرُونَ الْعُرْقَةَ بِمَا صَبَرُوا) الصَّبْرُ هُوَ الدِّينُ، الدِّينُ هُوَ الصَّبْرُ، صَبَرُوا مَا رَنُوا، صَبَرُوا مَا أَشْرَكُوا، صَبَرُوا مَا قَتَلُوا النَّفْسَ، خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ فَصَبَرُوا، نَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ، تَقُولُ: شَعِرْتُ كَأَنِّي سَاحِرٌ مِنْ جِلْدِي وَلَكِنْ صَبَرْتُ، وَقُلْتُ لَهُ: كَمَا تَرِيدُ إِذْهَبْ مُسَامِحًا. كُلُّ الدِّينِ صَبْرٌ، لَيْسَ الصَّبْرُ فَقَطْ أَنْكَ فَقَدْتَ قَرِيبًا فَصَبَرْتَ، هَذَا نَوْعٌ مِنَ الصَّبْرِ، لَكِنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ أَهَمُّ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ وَالصَّبْرُ عَلَى الطَّاعَةِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (132)

[سورة طه]

فقال:

(أُولَئِكَ يُجْرُونَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا) صَبَرُوا فِي الدُّنْيَا فَكَانَ جَزَاؤُهُمْ فِي الْجَنَّةِ الْعُرْفَةَ.
العُرْفَةُ مَرْتَبَةٌ فِي الْجَنَّةِ فِي أَعَالِي الْجَنَّةِ، الْعُرْفَةُ الَّتِي نَجْلِسُ بِهَا اسْمُهَا عُرْفَةٌ، هَذِهِ عُرْفَةٌ، مَكَانٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ النَّاسُ، لَكِنَّ الْمَرْتَبَةَ فِي أَعَالِي الْجَنَّةِ اسْمُهَا الْعُرْفَةُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أُولَئِكَ يُجْرُونَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَبُلَّغُونَ فِيهَا تَجِيَّةً وَسَلَامًا (75)

[سورة الفرقان]

أما قلتُ لكم في البداية: ألا تُحبُّ أن تُجزى العُرْفَةُ؟ **(وَبُلَّغُونَ فِيهَا تَجِيَّةً وَسَلَامًا)** أي من أجمل المجالس أن تمرَّ عليك الملائكة وتسلم عليك، **تَجِيَّةً وَسَلَامًا.**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خَالِدِينَ فِيهَا حَسْبَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (76)

[سورة الفرقان]

بمقابلٍ هناك ساعاتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا، لَكِنَّ هُنَاكَ كَمَا قُلْنَا لَيْسَتْ خُلُودًا دَائِمًا لِلْكَلِّ، لَكِنَّ فِي الْجَنَّةِ خُلُودٌ دَائِمٌ، مُسْتَقَرٌّ دَائِمٌ، وَمُقَامٌ دَائِمٌ لَا انْقِطَاعَ لَهُ، حَسْبَتْ مُسْتَقَرًّا لِمَنْ أَقَرَّ بِهَا وَمُقَامًا لِمَنْ أَقَامَ بِهَا، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنا مِنْ هَؤُلَاءِ.

والحمد لله رب العالمين